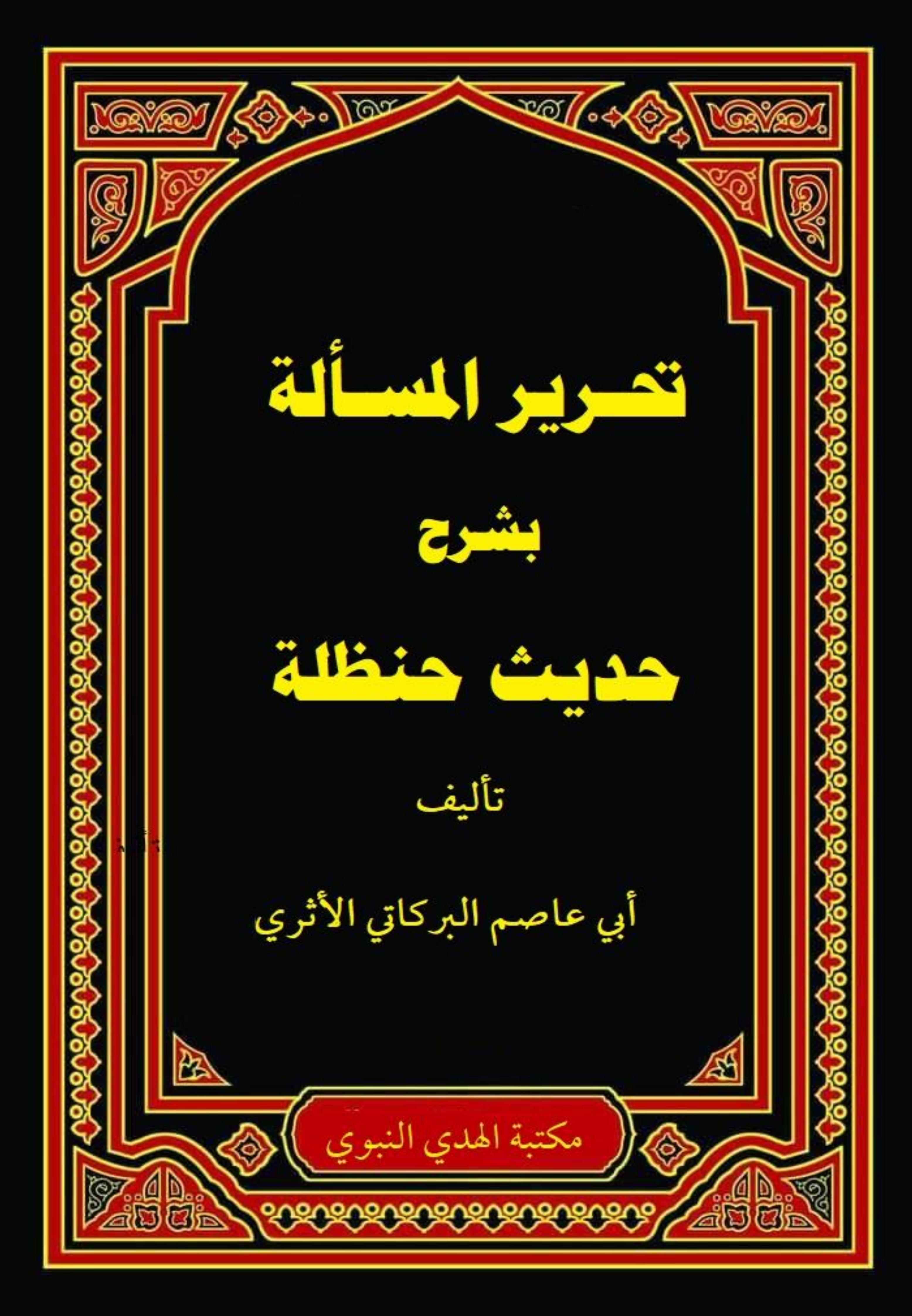


تحرير المسألة
بشرح
حديث حنظلة
تأليف
أبي عاصم البركاتي الأثري
مكتبة الهدي النبوي

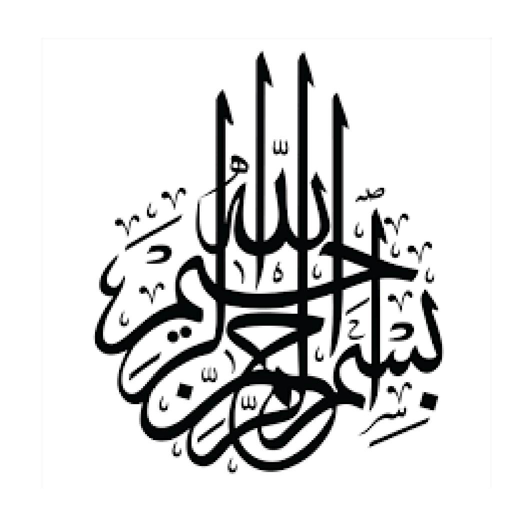
تحرير المسألة

بشرح حديث حنظلة

تأليف

الفقير إلى عفو ربه

أبي عاصم الشحات شعبان محمود البركاتي الأثري المصري



الطبعة الأولى

رمضان **١٤٣٥** هـ= **٢٠١٤** م

دار الهدي النبوي

حقوق الطبع لكل مسلم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد،،،،،،،،، وبعد:

فهذا بعض الفوائد كنت جمعتها حول حديث حنظلة الأسيدي الكاتب رضي الله عنه لما كنت بصدد شرح الحديث شرحا صوتيا في إحدى الخطب، ثم رأيت أن أزيدها وأرتبها وأضعها بين يدي إخواني وأحبائي عسى أن يستفيد قارئ، أو يدعو لي بظهر الغيب داع.

ولا يفوت علم احد من المسلمين ما للحديث النبوي من فضل لحفظه ونقله وتعليمه، عن زيد بن ثابت مرفوعاً "نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه ربَّ حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" [رواه الإمام أحمد و الترمذي وقال: حديث حسن].

وروى الترمذي برقم (٢٦٥٨) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٣٠٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال:

"نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

ورواه البزار (٣٤١٦) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِيَ فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ".

ففي هذا الحديث: الدعاء أو الإخبار من النبي ﷺ بحصول النضرة لمن حفظ الحديث وبلغه كما حفظه.

وأما معنى النضرة فهي الحسن والبهاء والجمال.

وجاء في فضل علوم القرآن والسنة وما يتعلق بهما ما رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة".

وعن أبي موسى الأشعري: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً

أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ". رواه البخاري (**٧٩**)، ومسلم (**٢٢٨٢**).

وروى الدارمي (**١٤٣**) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ ".

- وكذلك فمن بركة حفظها: السعي في نشرها وتعليمها الناس، وفي نشرها نشر للعلم، وإذاعة للسنة.

وفي آخر مقالتي هذه أسأل الله أن يجعلني من السالكين في طريق الحق وصراطه المستقيم، وأن يمن علي بالفقه والعلم في الدين، وأن يستعملني في خدمة الدين، وأن يدخلني في زمرة العلماء العاملين والدعاة الربانيين، وأن يتقبل مني ويجعل ذلك خالصا لوجهه، اللهم آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه

وكتب ذلك/ أبو عاصم البركاتي الأثري

نص الحديث:

أخرج مسلم في صحيحه قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَقَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ - وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى - أَخْبَرَنَا جعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِيَاسٍ الْجُرَيْرِىِّ عَنْ أَبِى عُثْمَانَ النَّهْدِىِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِىِّ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ؛ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ!!!؛ قَالَ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَمَا ذَاكَ؟".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ: سَاعَةً وَسَاعَةً". ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

تخريج الحديث:

(١) حديث حنظلة:

أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) وأحمد (١٧٦٠٩) (١٩٠٤٥) والترمذي (٢٥١٤) وابن أبي شيبة في المسند (٨٣٦) ومن طريقه ابن ماجه (٤٢٣٩) وأخرجه الطبراني في الكبير برقم (٣٤٩١) من طرق عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة به

وللحديث شاهدان هما:

(١) حديث أنس رضي الله عنه:

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٤٤) وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٣٧٩) حديث رقم: (٣٠٣٥) عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وإسناده صحيح.

وبإسناد آخر أخرجه أحمد في المسند (**١٢٧٩٦**) عن أنس فقال: ثنا مؤمل ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: انا إذا كنا عندك فحدثتنا رقت قلوبنا فإذا خرجنا من عندك عافنا النساء والصبيان وفعلنا وفعلنا فقال النبي ﷺ : "إن تلك الساعة لو تدومون عليها لصافحتكم الملائكة"

وهذا إسناد ضعيف لأجل مؤمل بن إسماعيل فهو ضعيف؛ قال الذهبي في السير (**١٠/ ١١١**): وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوْقٌ، شَدِيْدٌ فِي السُّنَّةِ، كَثِيْرُ الخَطَأِ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ: مُنْكَرُ الحَدِيْثِ.

وَأَمَّا أَبُو دَاوُدَ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَعَظَّمَهُ، وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِلاَّ أَنَّهُ يَهِمُ فِي الشَّيْءِ. انتهى.

وحماد هو ابن سلمة أحد الثقات الأعلام؛ يرويه عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه؛ ولكن آفة الإسناد هو مؤمل.

(٢) حديث أبي هريرة:

وفي مسند أحمد برقم (٨٠٣٠) قال: ثنا أبو كامل وأبو النضر قالا ثنا زهير ثنا سعد الطائي قال أبو النضر سعد أبو مجاهد ثنا أبو المدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول قلنا: يا رسول الله انا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال لو تكونون أو قال لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم، قال قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب عز و جل: " وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين".

أخرجه أيضًا بألفاظ مختصرة كل من: الحميدي في المسند (١١٥٠) و"عَبد بن حُميد" في المسند (١٤٢٠) قال: حدَّثنا سليمان بن داود، عن

زهير بن معاوية عن سعد الطائي. والدارمي (**٢٨٦٣**) و"ابن ماجه" (**١٧٥٢**) و"التِّرمِذي" (**٣٥٩٨**) من طرق عن سعد الطائي عن أبي مدلة عن أبي هريرة به.

وإسناده ضعيف لأجل أبي مدلة.

قال عنه الذهبي: " لا يكاد يعرف لم يرو عنه سوى أبي مجاهد ".

قلت: ذكره ابن حبان في "الثقات" برقم (**٣٩١٢**) وقال: يروي عنه سعد الطائي اهـ.

وقال أبو نعيم الحافظ إن اسمه (عبيد الله بن عبد الله المدني)

****

ترجمة حنظلة بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه

جاء في أسد الغابة (١/ ٢٩٠):

حنظلة بن الربيع وقيل: ابن ربيعة والأول أكثر بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي يكنى أبا ربعي ويقال له: حنظلة الأسيدي والكاتب لأنه كان يكتب للنبي ﷺ وهو ابن أخي أكثم بن صيفي وهو ممن تخلف عن علي رضي الله عنه في قتال الجمل بالبصرة روى عنه أبو عثمان النهدي ويزيد بن الشخير ومرقع بن صيفي.

ثم انتقل إلى قرقيسيا فمات بها ولما توفي حنظلة جزعت عليه امرأته فنهاها جاراتها وقلن لها: يحبط أجرك فقالت السريع:

تعجبت دعد لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب

إن تسأليني اليوم ما شفني ... أخبرك قولا ليس بالكاذب

إن سواد العين أودى به ... حزن على حنظلة الكاتب

انتهى ملخصًا

وجاء في "الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١١٢) " ما ملخصه:

شهد القادسية وهو ممن تخلف عن علي في قتال أهل البصرة يوم الجمل. جل حديثه عند أهل الكوفة؛ ومات حنظلة الكاتب في إمارة معاوية بن أبي سفيان وعقب له. انتهى

فوائد الحديث:

الفائدة الأولي: منقبة كتاب رسول الله ﷺ؛ وبيان شرف عملهم هذا؛ وقد أشار إلى ذلك أبو عثمان النهدي رحمه الله لما عد ذلك من مناقب حنظلة رضي الله عنه بقوله:" وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " أي كان يكتب القرآن بعد إملاء رسول الله ﷺ؛ والكتاب أيضا كانوا يكتبون ما يلزم لشئون الدعوة من الرسائل والمكاتبات ونحو ذلك؛ واختلفت المصادر في تعدادهم وذِكْرهم، حتى أوصلها بعضهم إلى أربعة وأربعين كاتبا.

قال الحافظ في "الفتح" (٩/ ٢٢): وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن

الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين؛ وروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه بن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا. الحديث انتهى

ومن هؤلاء الكتاب أيضًا:

(١) عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري كان من أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم ارتد عن الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أباح دمه ولكن شفع له عثمان رضي الله عنه يوم فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه وعاد لكتابة التنزيل توفي سنة **٣٦**هـ

(٢) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي.

(٣) زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، وهو الذي جمع القرآن في عهد الصديق.

(٤) معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي.

(٥) ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه.

(٦) المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٧) معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٨) الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه.

(٩) خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(١٠) عامر بن فهيرة رضي الله عنه.

(١١) وعبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله عنه.

(١٢) العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه.

(١٣) محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

(١٤) أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى رضي الله عنه.

(١٥) جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١٦) حاطب بن عمرو رضي الله عنه.

(١٧) طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(١٨) عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه.

(١٩) أبو أيوب الأنصارى، خالد بن زيد رضي الله عنه.

(٢٠) عبد الله بن عبد الله بن أُبّي بن سلول رضي الله عنه.

(٢١) عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢٢) وبريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢٣) أبو سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه.

(٢٤) يزيد بن أبى سفيان رضي الله عنه.

(٢٥) جهم بن سعد رضي الله عنه.

(٢٦) جهم بن الصلت بن مخرمة رضي الله عنه.

(٢٧) الحصين بن النمير رضي الله عنه.

(٢٨) حويطب بن عبد العزى رضي الله عنه.

(٢٩) العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

(٣٠) سعيد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

(٣١) عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وغيرهم

القراءة والكتابة في الإسلام:

أمر الله تعالى بالقراءة؛ والأمر بالقراءة يتضمن الأمر بالكتابة إذ القراءة إما من المحفوظ في الصدر وإما من المحفوظ بالكتب؛ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسمِ ربك الَّذي خلَق. خلَق الْإِنسانَ من علَقٍ. اقْرأْ وربك الْأَكْرم. الَّذي علَّم بِالْقَلَمِ. علَّم الْإِنسانَ ما لَم يعلَم﴾ وقد ورد في السيرة أن النبي ﷺ جعل فداء من لم يجد فداء من أسارى بدر من المشركين تعليم عشرة من غلمان المسلمين القراءة والكتابة.

وجاء في السيرة الحلبية (٢/ ٤٥١) وغيرها: ومن لم يكن معه فداء أي وهو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فإذا تعلموا كان ذلك فداءه. انتهى

والكتابة قيد العلم، كما قال النبي ﷺ: " قيدوا العلم بالكتابة " أخرجه الحاكم وصححه الألباني.

وكان عبد الله بن المبارك يقول [1]:

أيها الطالب علــماً ... ائت حماد بن زيد

فاستفد حلماً وعلماً ... ثــم قيــده بقيد

وقال آخر:

العـلـم صيد والكتابة قيــده ... قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة ان تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

ومن اهتمام السلف بالكتب حكايا كثيرة؛ فهذا أحد العلماء تلومه زوجته على كثرة ما ينفق على الكتب، فقال يحكي حاله معها:

وقائلة أنفقت في الكتب ما حوت .... يمينك من مال فقلت دعيني

لعـلي أرى فيها كتــابا يــدلني ..... لأخـــذ كتابي آمنا بيميني

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ٣٨٠) (٣٤٥٥)، والبغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (١٤٧١).

وقالت زوجة الإمام الزهري تشتكي انشغال زوجها عنها بالكتب:

والله إن هذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر.

ولقد أحسن من قال:

كتابي على مرِّ الزمـــانِ أنيسي .... رغبتُ بهِ عن خائنٍ وخسيسِ

كتابي رفيقي لا أمــلُّ بحملهِ .... وأرتاحُ في حمِلِي لهُ ومسيسِي

كتابي وإن أحببتَ تعرفُ قـدرهُ .... فسائلْ أخي عنهُ كذاكَ جليسِي

كتابي وأحببتُ الكتابَ لصدقهِ .... وأبذلُ فيهِ درهمي ونفيسِي

فليلاهُ قيسٌ قد حباها مشاعراً .... وعندَ كتابي مُهجتي وحسيسِي

وأخرج ابن أبي الدنيا في إصلاح المال برقم (١٩١): قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني، حدثني شيخ، من قيس أن عبد العزيز بن مروان، كتب إلى ابنه عمر بن عبد العزيز: " اعلم يا بني أنه لا دين لمن لا دفتر له، ولا مال لمن لا تدبير له، ولا مروءة لمن لا إخوان له".

قال الشاعر:

معانقتي كتابي في اشتيـــاق .... ألذ من ارتشافي للرحيق

وترتيبي لها في الرف عذب .... وفي تقليبها غوث الغريق

مكتبة ابن القيم رحمه الله:

حكى الحافظُ ابن حجر في "الدرر الكامنة" (**٤/ ٢٢**):

من أن أولادَ ابن القَيِّم ظلُّوا "يبيعون منها بعد موته دهراً، سوى ما اصطفوه لأنفسهم".

أهمية الحفظ للعلم:

ذكر السبكي في "طبقات الشافعية" (ج **٦** ص **١٦٥**)، فقال: سافر -الغزالي- إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي، وعلق عنه التعليقة. ثم رجع إلى طوس.

قال الإمام أسعد المِيهني:

فسمعته -أي الغزالي- يقول: قُطِعَت علينا الطريق، وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا؛ فتبعتهم.

فالتفت إلي مقدمهم، وقال: ارجع ويحك! وإلا هلكت.

فقلت له: أسألك بالذي ترجوا السلامة منه أن ترد عليَّ "تعليقتي" فقط، فما هي بشيء تنتفعون به.

فقال لي: وما هي تعليقتك؟

فقلت: كُتُبٌ في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها.

فضحك وقال: كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك؟

فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟!

ثم أمر بعض أصحابه فسلّم إلي المخلاة.

قال الغزالي: هذا مُسْتَنْطَق أنطقه الله ليرشدني به في أمري.

فلما وافيت طوس، أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قُطع عليَّ الطريق لم أتجرد من علمي. انتهى

***

الفائدة الثانية: سؤال الصحابة بعضهم عن بعض.

"سؤال أبي بكر رضي الله عنه عن حال أخية حنظلة"؛ وذاك في قوله: "كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ "

وذلك للإخوة الإيمانية التي بثها الإسلام في نفوسهم؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

وسؤال أبي بكر رضي الله عنه عن أخيه حنظلة إنما هو إرساء لقواعد الحب في الله؛ ففي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" [(١)].

وعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦) (٢١) ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

وأخرج أحمد في المسند ومسلم في صحيحه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي [1]".

وكان رسول الله - ﷺ- يتفقد أصحابه ويسأل عنهم إذا غابوا، فقد أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِى بَرْزَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ". قَالُوا نَعَمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا. ثُمَّ قَالَ "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ". قَالُوا نَعَمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا.

ثُمَّ قَالَ "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ". قَالُوا لاَ. قَالَ: "لَكِنِّى أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا فَاطْلُبُوهُ". فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَى النَّبِيُّ -ﷺ- فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ "قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ" [2].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٢٣١) ومسلم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٢).

وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" [2].

وأخرج الطبراني والبغوي وغيره وهو حديث حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله - ﷺ-:" أوثق عري الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله ".

وأخرج أبو داود وصححه الألباني عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان".

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١) و مسلم (٢٥٨٥).

الفائدة الثالثة:

النصوص الشرعية في التحذير من النفاق كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

ويعرف النفاق شرعا: بأنه إظهار الإسلام وإبطان الكفر. وهذا النوع الاعتقادي أو النفاق الأكبر.

قال ابن القيم: "النفاق نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله، مكذّب به" [1].

والنفاق الأكبر مخرج من الإسلام ويخلد صاحبه في النار والعياذ بالله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ (النساء:١٤٥).

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة:٦٨).

ال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢).

قال السيوطي رحمه الله في تفسيره "الدر المنثور": "والله لولا الناس ما صلى المنافق، ولا يصلي إلا رياء وسمعة".

فمن أوصافهم أنهم لا يذكرون الله إلا قليلا؛ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ويصلونها رياء؛ ويكذبون ويحلفون على الكذب؛ ومتكبرون ويفرقون بين المؤمنين؛ ويستهزئون بالمؤمنين وبآيات الله؛ ويوالون أعداء المسلمين على المسلمين؛ إلى غير ذلك من أعمالهم التي بينها الله تعالى في كتابة العظيم.

والنوع الثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك.

ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ [١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ [٢].

****

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣) (٢٦٨٢) (٢٧٤٩) ومسلم (١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (١٠٦).

"خوف الصحابة من النفاق":

وذلك من شكوى حنظلة رضي الله عنه واتهامه لنفسه بالنفاق والخوف من ذلك؛ يقول الإمام النووي رحمه الله:

"قوله: (نافق حنظلة) معناه: أنّه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافَه من الشرّ، فخاف أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك. "ساعة وساعة" أي: ساعة كذا وساعة كذا" [١].

ومن الآثار ما يؤكد على خوف الصحابة رضي الله عنهم من النفاق:

١ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلّقتُ به فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنّه من أولئك -

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٦٦ - ٦٧).

أي: من المنافقين-، فقال: نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحدا بعدك [1].

٢ - وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل [2].

٣ - وعن الحسن رحمه الله: "ما خافه - أي: النفاق - إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق" [3].

٤ - وعن المعلى بن زياد قال: سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد: "بالله الذي لا إله إلا هو، ما مضى مؤمن قطّ ولا بقي إلا هو من النفاق

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٢٨٨٥)، وأبطله ابن حزم في المحلى (١١/ ٢٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٤٢): "رجاله ثقات".

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ووصله الحافظ في تغليق التعليق (١/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا في الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ووصله الفريابي في صفة المنافق من طرق متعددة وألفاظ مختلفة.

مشفِق، ولا مضى منافق قطّ ولا بقي إلا هو من النفاق آمن"، قال: وكان يقول: "من لم يخف النفاق فهو منافق" [1].

٥ - وعن أبي عثمان قال: قلت لأبي رجاء العطاردي: هل أدركت ممن أدركتَ من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق؟ وكان قد أدرك عمر رضي الله عنه، قال: نعم، إني أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا، نعم شديدا، نعم شديدا [2].

قال ابن القيم: "تالله، لقد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد، وهَمُّهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل" [3].

الخوف من الرياء:

والرياء هو فعل العبادة لأجل الناس وليس لله تعالى؛ وهو من الشرك الأصغر؛ وهو يناقض التوحيد؛ ويضاد إخلاص العمل لله تعالى؛ حيث

---

(١) أخرجه الفريابي في صفة المنافق (٨٧).

(٢) أخرجه الفريابي في صفة المنافق (٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٧).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٨٨).

عُرِّفَ الإخلاص بأنه تجريد العمل وتخليصه لله تعالى، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان لوجهه خالصاً، قال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥).

وفي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ -ﷺ- قال: "يقولُ الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك، مَنْ عَمِل عملاً أشركَ فيه معي غيري، تركته وشركَه [١]".

والشرك لا يغفره الله إلا إذا تاب منه صاحبه سواء كان شركا أكبر أو شركا أصغر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٨).

وفي مسند أحمد (٢٧٧٤٢) عن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاء. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢) والطبراني في الأوسط (١٣٠).

الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥١).

وأخرَّج الترمذيُّ من حديثِ كعبِ بن مالك، عن النَّبيِّ - ﷺ- قال: "مَنْ طَلَب العلمَ ليُمارِي به السُّفهَاء، أو يُجاري به العُلَماء، أو يَصرِفَ به وجُوهَ النَّاسِ إليه، أدخله الله النَّار [١]".

و أخرج مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ [٢]". وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٤ - ٧).

وأخرج أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؛ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٥٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٨٦) والنسائي في الكبرى (١١٦٣٦) وأخرجه البخاري (٦٤٩٩) عن جندب رضي الله عنه.

النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً [(١)]".

وأخرج أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ وَأَبُو دَاوُد عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما: "الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ [(٢)]".

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: "مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ [(٣)]".

الفائدة الرابعة: "علم اليقين؛ وعين اليقين؛ وحق اليقين"

مستفاد من قول حنظلة " كأنا رأي عين" بالرفع أي كأنا بحال من يراهما بعينه ويصح النصب على المصدر أي نراهما.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) (٢٣٦٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠) وأحمد (٢٦٩٢١) وأبو داود (٤٩٩٧).

(٣) أخرجه: أحمد (٦٥٠٩) (٦٨٣٩) (٦٩٨٦) وابن الجعد في مسنده (١٣٥) وابن الشهاب في مسنده (٤٨٢) وانظر الصحيحة (٢٥٦٦).

ورأي العين هو عين اليقين؛ وهي درجة اعلى من علم اليقين وأعلى منه حق اليقين.

يقول الشيخ عطية سالم رحمه الله: والعلم مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، فعلم اليقين الذي لا يقبل وهماً يطرأ عليه، ويمثلون بأن مسلمي روسيا أو واشنطن يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة، فهو يعتقد ويعلم بوجود الكعبة، فإذا قدر لهذا الإنسان أن جاء إلى مكة ووصل إلى المسجد الحرام ووقف عند الباب، ورأى البنية في وسط المسجد، فقال: ما هذه؟ قيل له: الكعبة، فهل يكون علمه وهو واقف في باب المسجد كعلمه وهو في بلده؟ لا.

فعلمه علمه بها وهو يراها بعينه أقوى من علمه بها وهو في بلده، ثم جاء وطاف حولها زاد علماً، ثم فتحت الكعبة ودخل الناس ودخل معهم وصلى في جوف الكعبة، فعلمه بالكعبة هو في جوفها أقوى من علمه وهو واقف في الباب، هذا هو حق اليقين. ا هـ [١]

---

(١) تفسير سورة الحجرات

ومثل ذلك قوله تعالى حاكيا عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لأعاين فأزداد يقينا فعاتبه الله تعالى، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ يا رب علمت وآمنت، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، أي: ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

جاء في مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (٢/ ٥٤٩):

اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم، وقال: ﴿علم اليقين﴾ (التكاثر: ٥) الآية: ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾، و ﴿عين اليقين﴾ (التكاثر: ٧) الآية:﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ و ﴿حق اليقين﴾ (الواقعة:٩٥) الآية: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ . فعلم اليقين كعلمنا بدخول الجنة، فإذا رأيناها فهو عين اليقين، فإذا دخلناها فهو حق اليقين؛ وبينها فروق مذكورة في غير هذا الكتاب، يقال: استيقن وأيقن، قال تعالى: ﴿إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ (الجاثية:٣٢)، ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريات:٢٠)، ﴿لقوم يؤقنون﴾

(البقرة: ١١٨) وقوله عز وجل: ﴿وما قتلوه يقينا﴾ (النساء:١٥٧)
أي: ما قتلوه قتلا تيقنوه، بل إنما حكموا تخمينا ووهما. انتهى

الفائدة الخامسة: " ملاعبة الأزواج والأولاد":

أولا: قوله " عافسنا الأزواج": يعني لاعبنا الأزواج؛ ولفظ زوج يطلق على الرجل والمرأة؛ ولا ريب أن ملاعبة الزوجة من حسن العشرة التي أمر الله بها؛ في قوله سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)

قال ابن كثير في تفسيره:

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: طيِّبوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة :٢٢٨) وقال رسول الله ﷺ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأهْلي "[1] وكان من أخلاقه ﷺ أنه جَميل العِشْرَة دائم البِشْرِ، يُداعِبُ أهلَه، ويَتَلَطَّفُ بهم، ويُوسِّعُهُم نَفَقَته، ويُضاحِك نساءَه، حتى إنه كان

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) والدارمي (٢٢٦٠) وابن حبان في صحيحه (٤١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها؛ وأخرجه ابن ماجه (١٩٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يسابق عائشة أم المؤمنين يَتَوَدَّدُ إليها بذلك. قالت: سَابَقَنِي رسولُ الله ﷺ فَسَبَقْتُهُ، وذلك قبل أن أحملَ اللحم، ثم سابقته بعد ما حملتُ اللحمَ فسبقني، فقال: "هذِهِ بتلْك" [١] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كَتِفَيْه الرِّداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يَسْمُر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يُؤانسهم بذلك ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. انتهى [٢]

ومما ورد في حسن عشرة النبي ﷺ؛ ما روته عائشة- رضى الله عنها- قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ".

---

(١) النسائي في السنن الكبرى برقم (٨٩٤٢) وابن ماجه في السنن برقم (١٩٧٩) من طريق سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٤٢).

وعن عبد الله بن زمعة- رضي الله عنه-: عن النبي ﷺ قال: "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم".

وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال :"اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهون، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ".

بل كان رسول الله ﷺ يباشر زوجاته وهن حيض -دون الجماع- فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- أَنْ يُبَاشِرَهَا، أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا. (أخرجه البخاري)

ثانيا: ملاعبة الأولاد:

اعتنى الإسلام بالأبناء ذكوراً وإناثاً وأحاطهم بعناية ورعاية خاصة وإن من نافلة القول أن نقرر حب الآباء لأبنائهم؛ لأنه من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فقد روى البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) عَنْ

ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ - وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ؛ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: " يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ" ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ" .

وهذا نوح عليه السلام ينادي ربه تعالى من أجل ولده: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (هود: **٤٥ - ٤٧**).

وأخرج البخاري (**٥٩٩٩**) ومسلم (**٢٧٥٤**) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِسَبْىٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْىِ تَبْتَغِى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِى السَّبْىِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ

اللَّهِ -ﷺ- " أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِى النَّارِ ". قُلْنَا لاَ وَاللَّهِ وَهِىَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ".

إذن محبة الأولاد لدى آبائهم معلومة لا تنكر، ولكن بعض الآباء لا يدرون حقوق أبنائهم عليهم، فيعق أبناءه قبل أن يعقه أبناؤه.

الأولاد نعمة من نعم اللّه على عباده:

الأولاد هبة ونعمة يهبها الله لمن يشاء، فالحفاظ على الأولاد من حفظ النعمة وصيانتها، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: **٤٩ - ٥٠**).
والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: **٧٢**).

معرفة أن الأولاد قد تكون فتنة: وفتنة الأولاد بالاغترار بكثرة عددهم، كما في قوله سبحانه على لسان صاحب الجنة المغتر المتكبر:

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف: **٣٤**).

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: **٢٨**).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: **١٥**).

فالولد إذا كان فاسقاً عاصياً فلا نفع فيه لوالديه، بل قد يحملهما على الكفر والعياذ بالله، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف: **٨٠**).

حق الولد مداعبة أبيه له:

أخرج البخاري (**٥٩٩٧**) ومسلم (**٢٣١٨**) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النبي -ﷺ- يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ ".

وأخرج مسلم (٢٣١٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا نَعَمْ. فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ ".

وأخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا.

قطع النبي - ﷺ- الخطبة للحسن والحسين ووضعهما بين يديه:-

عن أَبِي بُرَيْدَةَ قال " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ؛ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا"

ارتحال الحسن والحسين لظهر رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن الزبير: قد رأيت الحسن بن على يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

ويطيل الصلاة أحياناً لأن أحد ولديه على ظهره كراهة أن يعجله حتى يقضي حاجته وهذه من رواية ْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاَتَيْ الْعَشِيِّ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلُ حَسَنٍ أَوْ حُسَيْنٍ فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَيْ صَلاَتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا قَالَ إِنِّي رَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ فِي سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاَةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَيْ الصَّلاَةِ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ قَالَ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَه ".

***

تأديب الولد وحسن تربيته:

عَن أَنَسٍ قالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "أَكْرِمُوا أَوْلاَدَكُمْ وَأَحْسِنُوا آدابَهُمْ".

وعن جَابِرِ بن سَمُرَةَ، قالَ: قالَ رَسُول الله ﷺ: "لأَنْ يُؤَدِّبَ الرجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ".

وعن عائشة: أن امرأة دخلت عليها ومعها ابنتان لها فأعطيتها تمرة فشققتها بينهما، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: " مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هذِه الْبناتِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ".

وعن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: " كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي: " يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" [متفق عليه]

العدل بين الأولاد: أخرج البخاري (٢٥٨٦) ومسلم (١٦٢٣) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ إِنِّى نَحَلْتُ ابْنِى هَذَا غُلاَمًا كَانَ لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ". فَقَالَ لاَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- " فَارْجِعْهُ ".

أعط كل ذي حق حقه:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ قَالَتْ أَخُوكَ أَبُوالدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فقَالَ: كُلْ قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا فقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ [١].

وحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا؛

---

(١) البخاري (١٩٦٨)

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؛ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي [(١)].

وقد حذر النبي ﷺ من التنطع في الدين؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" ثلاثَ مِرارٍ [(٢)].

وأخرج البخاري وغيره عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ"[(٣)].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) البخاري (٦٩٣١).

الفائدة السادسة: السعيِ فِي تحصيل الرزق.

مستفادة من قوله رضي الله عنه: " عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات" والضيعات جمع ضيعة وهي الأرض أو الحقل المزروع ليثمر ويتحصل المرء منه على رزقه. ولنا في الأنبياء أسوة في السعي في تحصيل الرزق والأخذ بأسبابه:

وأنبياء الله ورسله عليهم السلام وهم أشرف الخلق يعملون ويجدون سعيًا في تحصيل الرزق، قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:٢٠).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ".

وعمل النبي ﷺ في التجارة عند خديجة رضي الله عنها.

وداود عليه السلام كان يجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ.

أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُون بصيرَ﴾ (سبأ: ١٠ – ١١).

وأخبر سبحانه عن داود عليه السلام بقوله جل شأنه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، والمراد باللبوس: الدروع.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهلِ العقول والألباب، لا قول الجهلةِ الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شُرع للضعفاء، فالسببُ سنةُ الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونَسَبَ من ذكرنا إلى الضعفِ وعدمِ المُنَّة، وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع والخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدمُ حَرّاثًا، ونوحُ نجارًا، ولقمان خياطًا، وطالوت دباغًا، وقيل: سقّاء، فالصنعة يكف بِها الإنسان نفسه عن الناس" انتهى كلامه رحمه الله.
وأخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".

وأخرج البخاري أيضًا عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود كان يأكل من عمل يده".

وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "كان زكريا نجارًا".

وموسى عليه السلام الذي عمل في رعي الغنم ثماني سنوات لنبي الله شعيب عليه السلام مقابل نكاح إحدى ابنتيه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (القصص: **٢٧ - ٢٨**).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ".

والله تعالى يقول: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ (يس: **٣٥**).

وأخرج البخاري أيضًا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا؛ وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".

وأخرج أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ".

وأمر النبي ﷺ أصحاب الأعمال بدفع أجر العامل بعد أداء العمل مباشرة، وفيه من الحكمة أن يتذوق العامل حلاوة العمل إذا أخذ أجره، فتسعد نفسه ويقضي حاجياته، فقال ﷺ: " أَعْطوا الأجير حقه قبل أنْ يجفَّ عرقه" أخرجه ابن ماجه (**٢٤٤٣**) وصححه الألباني.

وعن كعب بن عجرة قال: مر النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل

الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان [١].

****

(١) أخرجه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: **١٤٢٨**.

الفائدة السابعة: الفتور قد يعتري الصالحين:

وهذا أمر مستقر معلوم؛ وقوله ﷺ " ساعة وساعة"؛ أي ساعة كذا وساعة كذا يعني لا يكون الرجل منافقا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور؛ ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ " [(١)].

ومن فوائد الحديث:

(١) شرة يعني قوة ونشاط؛ فينبغي اغتنام نشاط النفس وإقبالها على الطاعة.

(٢) من الطبيعي فتور النفس شيئا ما بعد نشاطها

(٣) الفتور لا يعني ترك الواجب ولا فعل المحرم

---

(١) أخرجه: أحمد (٦٤٤١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٦).

(٤) الترويح عن النفس مطلوب لحديث ساعة وساعة.

(٥) سنة النبي صلى الله عليه وسلم تيسير لا تعسير وتبشير لا تنفير وتعسير.

(٦) المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

(٧) دعوة النبي ﷺ إلى التمسك بسنته وتحذيره من مخالفة السنة.

الفائدة الثامنة : النسيان آفة تعتري الإنسان:

وهذا مستفاد من قول حنظله " نسينا كثيرا" والنسيان هنا بمعنى نسيان العمل وعدم النشاط له، أو نسيان العلم الدافع للعمل، وهذا لا يسلم منه سوى الأنبياء والرسل، وله أسباب أهمها الانشغال بالدنيا أو بسبب الذنوب التي يحرم العبد بسببها، يؤثر عن الشافعي من قوله شعراً:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي * فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور * ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومن أسباب النسيان كثرة المشاغل إذا كان إنسان عنده أشغال كثيرة فإنه ينسى، فإذا كان الإنسان غير متفرغ وله عنده شواغل فإن هذه الشواغل ينسي بعضها بعضًا.

ومن أسباب النسيان عدم العمل بالعلم، قال تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيرا لَّهُم وَأَشَدَّ تَثبِيتا﴾ [النساء ٦٦]

الفائدة التاسعة : أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل:

وفي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – ﷺ– "أحبُ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ" [متفق عليه].

أي: ما استمرَّ في حياةِ العامِلِ، "وإنْ قَلَّ"؛ أي: وإنْ كان عَملاً قَليلاً؛ لأنَّه يَستمِرُّ، بخِلافِ الكثيرِ الشَّاقِّ، وفي صَحيحِ مُسلمٍ عن عَلقمةَ، قال: "سألتُ أمَّ المؤمنين عائشةَ، قال: قلتُ: يا أُمَّ المؤمنين، كيف كان عمَلُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ هل كان يَخصُّ شيئًا مِن الأيَّامِ؟ قالتْ: لا، كان عَمَلُه دِيمةً، وأيُّكم يستطيعُ ما كان رسولُ اللهِ ﷺ يستطيعُ؟! " وكانتْ عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها إذا عَمِلَتِ العَملَ لَزِمَتْه.

والله تعالى يقول: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، واليقين أي الموت، والمعنى اعبد ربك طيلة حياتك، واجعل حياتك كلها طاعة لله تعالى، ويقول النبي ﷺ: "يا أيها الناس، خذوا من الأَعمال ما تُطيقُونَ، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحبَّ الأَعمالِ إلى

اللهِ ما داومَ عليه صاحبُهُ وإن قلَّ" قالت عائشةُ: وكان النَّبيُّ ﷺ إذا صلَّى صلاةً داوَمَ عليها، قال أبو سَلَمةَ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. [متفق عليه]، قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ (سورة مريم ٦٥).

يقول أنس رضي الله عنه: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟ " قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي، فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: "حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدْ". أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤).

الفائدة العاشرة : براءة الصحابة من النفاق:

وذلك لما اتهم حنظلة رضي الله عنه بالنفاق فقال: نافق حنظلة، فبين له النبي ﷺ الأمر، ونفى عنه النفاق، رغم أن الصحابة كانوا يخشون النفاق قال ابن أبي مليكة التابعي الجليل: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على

إيمان جبريل وميكائيل، وقال الحسن عن النفاق: ما خافه إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق.

وحنظلة رضي الله عنه صحابي من الصحابة الكرام الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

وقد قال الله عن الذين بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام يوم الحديبية تحت الشجرة وكانوا ألفًا وأربعمائة ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة"؛ رواه مسلم في صحيحه (٢٤٩٦)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأبو داود (٤٦٥٣).

وكيف يكونون مرتدين أو منافقين، وقد قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

الفائدة الحادية عشرة: مواصلة الذكر والعمل الصالح يرفع المرء:

وذلك مستفاد من قوله ﷺ : "وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى

طُرُقِكُمْ". والذكر والعمل الصالح يرفع صاحبه قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

وفي الحديث عن عبد اللهِ بنُ بُسْرٍ رَضِي اللهُ عَنه أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال:" لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ" [أخرجه الترمذي (**٣٣٧٥**) وصححه الألباني].

وأخرج أحمد والترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ"؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى".

الفائدة الثانية عشرة : بعض كرامات الصحابة:

وهذا مستفاد من قوله ﷺ : " لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ".

والكرامة هي أمر خارق للعادة يجريه الله لبعض أوليائه، لتثبيتهم على الحق وإكراما لهم، ولا يتم التحدي به، ومن شروط ذلك الاستقامة على شرع محمد ﷺ ، من ذلك استجابة دعائهم أو حصول بعض الخوارق لهم، روى البخاري (**٣٨٠٥**)، وأحمد (**١٢٩٨٠**) - واللفظ له - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا وَعَصَا هَذَا ".

وروى البخاري (**٧٥٥**) من طريق عبد الملك بن عمير عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: " شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ،

وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ - يعني هذا الرجل - يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ ".

روى البخاري (٥٠١٨) عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: " بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ) قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ

حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: (وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟)، قَالَ: لاَ، قَالَ: (تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ).

- روى مسلم (١٢٢٦) عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: " أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهِ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ، وَقَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ، فَعَادَ ".

وقال أبو داود في سننه (٤/ ٥): " كَانَ يَسْمَعُ تَسْلِيمَ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا اكْتَوَى انْقَطَعَ عَنْهُ، فَلَمَّا تَرَكَ رَجَعَ إِلَيْهِ".

- وروى البخاري (٣٠٤٥) حديث خبيب بن عدي رضي الله عنه لما أسره المشركون، وكَانَ خُبَيْبٌ قد قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَاضٍ: قالت بِنْتَ الحَارِثِ: " وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ " وَكَانَتْ تَقُولُ: " إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا ".

- وروى البخاري (**٤٠٩٣**) عن هِشَام بْن عُرْوَةَ قال: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: " لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: مَنْ هَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ ".

- وروى مسلم (١٦١٠) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، " أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ)، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: " اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا "، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ ".

- وروى ابن سعد في " الطبقات " (**٨/ ٢٢٤**) عن عثمان بن القاسم قال: " لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت

وليس معها ماء وهي صائمة، فجهدها العطش، فدلي عليها من السماء دلو من ماء، برشاء أبيض، فأخذته فشربت منه حتى رويت، فكانت تقول: " ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش ".

الفائدة الثالثة عشرة:

وجوب الإيمان بالملائكة السيارة التي تغشى مجالس بني آدم:

وذلك مستفاد من قوله ﷺ : " لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ ".

في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن لله ملائكةً سيَّارةً فضلاء، يتبعون مجالس الذِّكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذِكر، قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرَّقوا عرَجوا وصعِدوا إلى السماء، فيسألهم الله - وهو أعلم -: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عِباد لك في الأرض يسبِّحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك، قال: وما

يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنَّتك، قال: وهل رأَوا جنتي؟ قالوا: لا، أيْ رب، قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: وممَّ يستجيرونني؟ قالوا: مِن نارِك، قال: وهل رأَوا ناري؟ قالوا: يا رب لا، قال: فكيف لو رأَوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال فيقول: قد غفرتُ لهم وأعطيتُهم ما سألوا، وأَجَرتُهم مما استجاروا، قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطَّاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله قد غفرتُ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: حشوتُ للنبي ﷺ وسادةً فيها تماثيل، كأنها نُمرُقَة، فجاء فقام وجعل يتغيَّر وجهه، فقلت: ما لنا يا رسول الله؟ قال: "ما بال هذه الوسادة؟ "، قالت: وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها، قال: "أمَا علمتِ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، إن مَن صنع الصور يُعذَّب يوم القيامة، يقال: أحيوا ما خَلقتُم". وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن الملائكة تُصلِّي على أحدِكم ما دام في مُصلاَّه الذي صلى فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحدِث".

***

الفائدة الرابعة عشرة: معنى "ساعة وساعة":

أي ساعة كذا وساعة كذا يعني لا يكون الرجل منافقا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.

قال العلامة ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين:

"ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة، ساعة وساعة" يعني ساعة للرب عز وجل وساعة مع الأهل والأولاد وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها أن الله عز وجل له حق فيعطى حقه عز وجل وكذلك للنفس حق فتعطى حقها وللأهل حق فيعطون حقوقهم وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة ويتعبد لله عز وجل براحة لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب وأضاع حقوقا كثيرة وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف يكون كذلك أيضا في العلوم فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللا في

مراجعة كتاب ما فلينتقل إلى كتاب آخر وإذا رأى من نفسه مللا من دراسة فن معين فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر وهكذا يريح نفسه ويحصل علما كثيرا أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف إلا ما شاء الله فإن بعض الناس يكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب ثم يأخذ على ذلك ويكون هذا أمر دائما له ويكون ديدنا له حتى إنه إذا فقد هذا الشيء ضاق صدره والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى

الفائدة الخامسة عشرة:

"فائدة تكرار لفظ ساعة وساعة من رسول الله ﷺ"

التكرار في الاصطلاح: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها.

فالتكرار للفظ يفيد التأكيد على المعنى؛ ويقرره، وقد قيل " الكلام إذا تكرَّر تقرَّر "؛ وفيه أيضا زيادة الترغيب في شيء ما ؛ كما أن التكرار يأتي أحيانا لاستمالة المخاطَب؛ للإرشاد إلى الخير؛ كما أن التكرار يأتي أحيانا للتعظيم والتهويل لأمر ما؛ كما أنه يدل أحيانا على شرف المكرر.

وقال ابن فارس: "ومن: سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر " (١).

وقد استعمل النبي ﷺ التكرار في الحديث لأنه يتكلم بلغة العرب فهو أفصح العرب ﷺ ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً، وإذا سلّم سلّم ثلاثاً"(٢).

وقد جعل علماء البلاغة، التكرار على قسمين: تكرار بالمعنى وتكرار باللفظ.

من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط " (٣).

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص **٢٠٧**.

(٢) أخرجه البخاري برقم **٩٤ - ٩٥**.

(٣) أخرجه مسلم.

فكرر عبارة " فذلكم الرباط" ثلاث مرات في موقف واحد لبيان الأهمية ولفت الانتباه.

ومن ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أبوك".

ومن ذلك: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه".

ومن ذلك: قوله ﷺ : "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ -ثلاثا- قلنا: بلى يا رسول الله. قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين" وكان متكئا فجلس، فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور "فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت".

وقوله ﷺ: "رغم أنفه رغم أنفه، رغم أنفه، قلنا من يا رسول الله ﷺ ؟ قال: "من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخلاه الجنة".

ومن ذلك التكرار بقصد الإلحاح في الدعاء: فعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه -، أنه شكا إلى رسول الله - ﷺ - وجعا يجده في جسده، فقال له رسول الله - ﷺ-:" ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله- ثلاثا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر".

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي - ﷺ- أنه قال:" من عاد مريضا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض" وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، قال: عادني رسول الله ﷺ ، فقال: "اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا"

التكرار بالمعنى:

وتكرار المعاني كثير في القرآن والسنة من ذلك تكرار قصص الأنبياء والصالحين وتكرار وعيد الكافرين والمذنبين؛ وفي السنة تكررت

النصوص كثيرا لتدل على معان لموضوعات كالتوبة وفضل الاستغفار وفضل الشهادة في سبيل الله وفضل ذكر الله عز وجل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن عبداً أصاب ذنباً أو قال أذنب ذنباً فقال: رب؟ أذنبت ذنباً، وربما قال: أصبت فاغفره، فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت ذنباً أو أصبت ذنباً فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً فقال: رب أصبت ذنباً أو قال أذنبت فاغفر لي، فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعملْ ما شاء".

الفهرس

إقرأ

تفسير سور الإخلاص والمعوذتين

أبو عاصم البركاتي الأثري

إقرأ

صدق الوفاء بمناقب معاذ بن جبل إمام العلماء

تأليف

أبي عاصم البركاتي الأثري